علاقة المجتمع الموحدي بالأولياء والأضرحة خلال فترة الأزمات

د. جمال رداحي
الدكتوراه في التاريخ الوسيط
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة طنجة تطوان الحسيمة
المغرب

ملخص:

تروج هذه الدراسة تسليط الضوء على موضع غاية في الأهمية وهو علاقة المجتمع االموحدي بالأولياء والاضرحة خاصة خلال فترة الأزمات، في محاولة الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تقديس الأولياء بالمجتمع الموحدي ورصد أهم متصوفي هذا العصر، والوقوف على الدور الذي يلعبه المتصوفة خلال الأزمات والكوارث ثم استمرارية كرامة الولي بعد الموت، خاصة أن الأولياء خلال الفترة موضوع الدراسة أصبحت لهم مكانة كبيرة داخل المجتمع نظير الأدوار التي أصبحوا يطلعون بها على مستويات متعددة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الأدوار تزداد خلال فترة الأزمات التي يعرف المجتمع، وعندما تشتد الأزمة على الناس يتجهون إلى الأولياء، في محاول الاستنجاد بهم، على اعتبار امتلاكهم لكرامات تهم مختلف مناحي الحياة، وحسب كتب المناقب فكرامة الولي لا تنقطع بموته بل تستمر وهذا ما يفسر لجوء الناس إلى زيارة ضريحه خلال فترة الأزمات والكوارث.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
رداحي، جمال. (2024، أكتوبر). علاقة المجتمع الموحدي بالأولياء والأضرحة خلال فترة الأزمات. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 7، السنة الأولى، ص 33-50.

Abstract:

This study promotes shedding light on a very important topic, which is the relationship of the Almohad community with saints and shrines, especially during periods of crises, in an attempt to identify the real reasons that led to the sanctification of saints in the Almohad community and to monitor the most important Sufis of this era, and to identify the role played by Sufis during crises and disasters, then the continuity of the saint's dignity after death, especially since the saints during the period of the study have become highly regarded within society in light of the roles they have come to assume on multiple levels, including political, economic and social. These roles increase during periods of crises that society knows, and when the crisis intensifies on people, they turn to the saints, in an attempt to seek their help, considering that they possess miracles that concern various aspects of life, and according to the books of virtues, the saint's dignity does not end with his death, but rather continues, and this explains why people resort to visiting his shrine during periods of crises and disasters.

مقدمة

إن تاريخ التصوف والحركة الصوفية يعتبر جزءا لا يتجزأ من التاريخ العام للمغرب الأقصى الذي يشمل جوانب متعددة، ولا يتعلق الأمر بالجانب السياسي والاقتصادي فقط، بل يمتد إلى التاريخ الذهني والثقافي إذ أصبح للتصوف خلال القرون الوسطى وخاصة العهد المرابطي والموحدي تأثير كبير في توجيه الناس في كل جوانب الحياة، وذلك لاعتبار التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الدولة الموحدية، والتي جعلت الظروف في بلاد المغرب الأقصى ملائمة لظهور المتصوفة الذين أصبحوا يلعبون أدوار مهمة داخل المجتمع وعلى مستويات متعددة، جعلتهم يحضون بمكانة خاصة لدى الناس وصلت لدرجة التقديس سواء في حياتهم أو بعد الممات.

من هنا سنحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تقديس الأولياء بالمجتمع الموحدي ورصد أهم متصوفي هذا العصر، والوقوف على الدور الذي يلعبه المتصوفة خلال الأزمات والكوارث ثم استمرارية كرامة الولي بعد الموت فحسب كتب المناقب فكرامته لا تنقطع بموته بل تستمر وهذا ما يفسر لجوء الناس إلى زيارة ضريحه خلال فترة الأزمات والكوارث.

فيما يمكن اعتبار قلة المادة المصدرية من العراقيل التي واجهت هذه الدراسة، حتى وان وجدت يمكن نعتها بالبخيلة، فيما يخص علاقة الأولياء بالسلطة وبما هو اقتصادي واجتماعي وبالتالي تتحدث عنه بمعزل عن علاقته التفاعلية مع محيطه الاقتصادي والاجتماعي، ورغم كثرة ما كتب عنها في الجانب العسكري والسياسي يبقى الجانب الفكري والمذهبي قليل جدا، وبذلك وجب علينا الرجوع إلى بعض مصادر الفترة المدروسة، ومحاولة تقصي ما يهم هذا الجانب.

أولا: الأولياء والأضرحة: تحديد المفهوم

الولي

يدل لفظ "الولي" على معان متعددة، فالولي من أسماء الله الحسنى، والولي هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، والولاية: النصرة، والولي: ولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفالته... فلان أولى بهذا الأمر من فلان، أي أحق به. والولي: الصديق والنصير. والموالاة ضد

المعاداة، والولاء المالك والعبد، والولي: القرب والدنو، وتوالى الشيء: يتابع، وتوليت فلانا: أي أتبعته ورضيت به".[1]

وحدد القشيري للولي تعريفا إذ يقول: " إن الولي له معنيان: الأول، وهو من يتولى الله أمره، والثاني وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، وكلا التعريفين واجب حتى يكون الولي وليا[2]، قوله " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[3].

ويمكن اعتبار الأولياء نخبة المتصوفة، وهذا ما جعل درمنغهام يلقبهم بـ" الأولياء الجديون " الذين يشكلون موضوع كتب المناقب في مقابل الأولياء الشعبيين[4]، ويرى أحد الباحثين أن الولي يبدو كشخص يرفض "السياسي" ليتفرغ فقط "للمقدس" وليشمل نشاطه حتى الحاضرة[5].

والأولياء هم من عامة الناس بل إن في كثير من الأحوال تنتسب الولاية لشخص عرفه الناس فاقدا للعقل، ويؤكد ابن خلدون هذا القول "ومن هؤلاء المريدين المتصوفة قوم بهاليل معتوهون هم أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين"[6].

الضريح:

هو الشق في وسط القبر واللحد في الجانب، وقال الأزهري في ترجمة اللحد والضريح ما كان في وسطه، يعني القبر، وقيل الضريح القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، وضرح الضريح للميت يضرحه ضرحا، حفر له ضريحا، وقال الأزهري سمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا[7].

ويعتبر الضريح أو المقام مشيدة معمارية تبنى على قبر أحد الأشخاص تخليدا لذكراه، وقد ظهرت هذه الفكرة في الحضارات القديمة التي استخدمت مدافن لملوكهم [8]، وقد أصبح الضريح داخل العديد من البلدان اليوم لا يشكل شيئا غير عادي أو مثير للانتباه، فحيثما ولى المرء وجهه

---

[1]- ابن منظور، م س، مجلد 15، ص ص 406- 407.

[2]- القشيري أبو القاسم، الرسالة القشيرية، تحقيق، عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة، 1989، ص 463.

[3]- سورة يونس الآية 63.

[4]- Emile Dermenghem, Le Culte des Saints Dans L'islam Maghrébin, Gallimard, Paris,1954، P.11

[5] - ضريف محمد، مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي، مساهمة في التركيب، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 1، الدار البيضاء، 1986، ص 29.

[6] - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، الجزء الأول، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2005، ص 172,

[7] - ابن منظور، مجلد 2، م س، ص 526

[8] - شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، د.ط، الدار التونسية، 1969، ص.78.

إلا ويصادف قبة لضريح يضم رفات رجل أو امرأة "ولي . صالح . متصوف . مجذوب..." يزورها الزائرون للتبرك وطلب الحماية وغير ذلك[1].

كما أن عدم القدرة على التفاعل الإيجابي المبني على العقل والمنطق مع الواقع المعقد، دفع الناس إلى تقديس الأضرحة التي شكلت عبر الزمن آليات لضبط السلوك الفردي وإعطاء هوية خاصة للجماعة في إطار تفاعلها السلبي أو الإيجابي مع الجماعات الأخرى التي تتقاسم معها نفس المحيط الجغرافي، والضريح كمكان مقدس يترسخ في الذاكرة الجماعية ويلعب دورا مهما في تحقيق توافقهم النفسي والاجتماعي والاقتصادي[2]

ثانيا: علاقة المجتمع الموحدي بالأولياء بعد الموت

مفهوم الكرامة

الكرامة لغة اسم من الإكرام والتكريم، تقول أكرمت العالم وكرمته إكراما وتكريما أي فعلت معه ما يدل على احترامه وتقديره وتعظيمه[3]، واصطلاحا هي: كل أمر خارق للعادة وللمألوف يظهره الله على يدي عبد مؤمن صالح غير مقرون بدعوى النبوة، إذ قد حصل الإجماع على أن الكرامة لا يمكنها أن تظهر على يد فاسق[4].

لا تختلف تعاريف باقي علماء الفترة عن هذا التعريف إلا قليلا في بعد جوانبه[5]، وجاء في التشوف أن الكرامة تتحقق لمن تعمق في الزهد والعبادة، عارضا عن ملذات الدنيا وأهوائها[6]، وهذا ما نجده عند الماكري في "المنهاج الواضح" الذي فصل في مدلولاتها وحدودها[7]، إضافة إلى غيره من الباحثين الذين أثبتوا جواز وقوعها عقلا ونقلا[8].

---

[1] - جنبوبي محمد، الأولياء في المغرب. حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب.، منشورات كنال أوكردوي،2004، ص.8

[2] - فرحات المصطفى، طقوس وعادات أهل بزو، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات والتعابير الأدبية، سلسلة دراسات وأبحاث، ط 1، 2008، ص.18

[3]- جنبوبي محمد، الأولياء في المغرب: حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب، منشورات كنال أوجوردوي، الرباط، الطبعة الثانية، 2004، ص 32.

[4] - العزفي أحمد، عامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، د ط، 1989، ص 23.

[5] - ابن الزيات، التشوف، م س، ص 6-35.

[6] - نفسه، ص75 .

[7] - الماكري أحمد، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007، ص 81- 104.

[8] - جنبوبي، الأولياء في المغرب، م س، ص 32.

حاول عدد من الدارسين تطبيق قراءات مختلفة للكرامات وأخضعوها للتحليل والدراسة، ليخلصوا إلى أن كثيرا من هذه الكرامات الصوفية وخوارقهم هي حكايات خيالية، نواتها من زمن سحيق ليس لها من دلالات واقعية إلا ما تؤديه من وظائف مختلفة[1]، ويرى بوتشيش أن الكرامة "ابنة شرعية لأزمة عمت المجتمع في أواخر العصر المرابطي لذلك جاءت بمثابة تعرية لهذا الواقع ومحاسبة المسؤولين على الأزمة، كما امتلكت رؤية خاصة لمعالجة قضايا المجتمع[2]، وأن خطابها في الغالب الأعم "خطاب مباشر يعتمد الرمز والتمويه والمناورة واللف والدوران، وهي في نظره أكثر الطرق التواء وتمويها"3 ونشأت، في أغلب الأحيان في أوساط العامة4، ويجعلها غيره في مقابل الفكر العقلاني" بأنها بنية أساسية في الفكر البشري، وهي كالبنية العقلانية مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود، وهي ممارسة لمعتقد ديني، وتأكيد لهذا المعتقد"5

2- وظيفة الكرامة بعد موت الولي

يروي الصومعي، قول أبي عاشر السلاوي (ت764هـ): "الكرامات لا تنقطع بموت الولي"[6]. هكذا يقرر هذا الولي قاعدة ذات أثر بالغ في ترسيخ قيمة الأولياء واستمرار أثرهم في المجتمع حتى بعد وفاتهم، ليدخلوا "فترة المدى الطويل"، لذلك فهناك من الأولياء من ظهرت كرامته في حياته ومماته على حد سواء، "كأبي يعزى". وهناك من الأولياء "من ظهرت كراماته بعد مماته أكثر من حياته، كأبي العباس السبتي"[7].

ويؤكد هذا القول ابن قنفذ: "فإن قلت هل تنقطع الكرامة بموت صاحبها أم لا؟ قلنا: لا تنقطع بموته، بل تظهر، فكثير من لا يعرف في الحياة تشتهر بركاته بعد الممات، وتلوح عند قبره البركات. ولقد حضرت عند ولي الله على التحقيق وهو الشيخ أبو العباس أحمد ابن عاشر الأندلسي بمدينة سلا في عام ثلاثة وستين وسبعمائة. سأله أحد الفقراء عن هذا الفضل، فأنكر عليه سؤاله وقال: "لا تنقطع الكرامة بالموت؛ انظر إلى السبتي!" ويشير إلى الشيخ الفقيه العالم

[1] - مفتاح محمد، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/ 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1981، القسم الأول، ص 226.

[2]- القادري بوتشيش، المغرب والأندلس، م س، ص 140.

[3]- نفسه، ص 140-141.

[4]- الراوي عبد الستار عز الدين، التصوف والباراسيكولوجيا، مقدمة أولى في كرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة، دار الفارس، بيروت، ط 1، 1994، ص11.

[5]- زيعور علي، الكرامة الصوفية: الأسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربية، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1984، ص 83.

[6] - الصومعي ، م س ،ص. 112

[7] - نفسه، ص. 112

المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش وما ظهرت عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات"[1]، ويعلق ابن قنفذ على ذلك قائلا: "فأعجبتني إشارة ابن عاشر بهذا المعنى أعني أن الكرامة لا تنقطع بالموت"، ويؤكد مرة أخرى: " فأنت ترى من هذه صفته [يقصد ابن عاشر] يصرح أن الكرامة لا تنقطع بالموت، ويحيل على من هو معاين في السبتي رحمه الله".[2]

إن توالي بركات وكرامات الولي بعد موته، حسب كتب المناقب، هو ما يفسر خوضها في سجال حول انقطاعها من عدمه، فتخلص جميعها إلى التأكيد على عدم انقطاعها[3] ، ويبدو أن هذا السجال الذي بدأ الحديث عنه مع وفاة أبي العباس السبتي (ت 601هـ)، واستمر إلى ما بعد القرن الثامن[4]. كانت الغاية من إثبات هذه الكرامات المرافقة لموت الأولياء، تهدف إلى تتبيث هبيته في موته.

لذا فالأولياء يرون أن "مادة الولي لا تنقطع إلى يوم القيامة، يعني: حتى تنقطع الولاية من الأرض". مما أدى إلى عدم انقطاع وفود الزائرين إلى ضريح الولي بعد موته بأعداد قد تكون أكبر بكثير في حياته[5]. ليتطور الأمر إلى تنظيم هذه الزيارات وإنتاج أدبيات في فضلها[6]، وتوقيتها بمواسم محددة، واستقبال "الفتوح" و"الوعود"[7].

لذلك أضحت للأضرحة مكانة كبيرة بين الناس، حيث أخذت حيزا مهما في حياتهم، ورويت قصصا كثيرة ومتعددة تتحدث عن أصحاب الأضرحة، هذه القصص لن يتأتى لها الوجود، إن لم

---

[1]- ابن قنفد، م س ، ص ص.6-7

[2]- نفسه، ص.10.

[3]- الصدفي طاهر، السر المصون في ما أكرم به المخلصون، تحقيق فرحات حليمة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،1988، ص.48. ابن عاشر أحمد بن عبد الرحمان، تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر، تحقيق مصطفى أبو الشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، ص.50

[4] - الهلالي محمد ياسر، موت الولي في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مجلة المناهل، العدد 91 . 92، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2012، ص.399

[5] - مثال ضريح أبي العباس السبتي بمراكش. أنظر التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى، ج1987،2 ص ص 68-69، وانظر عن كثرة زوار ضريح أبي يعزى بعد حوالي ثلاثة قرون من وفاته: الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983، ص. 205

[6]- عن معاني هذه الألفاظ أنظر: الشاذلي، عبد اللطيف، التصوف والمجتمع .نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، أطروحات ورسائل (4)، ص ص.197-206

تجد تربة خصبة بين الناس، لذلك حيكت مجموعة من القصص والأساطير إلى أن وصلت إلى درجة التداخل والتناغم مع المعتقدات الشعبية، التي هي بمثابة ركيزة مقدسة بين الناس، لا يطالها التغيير ولا النقصان، سواء اجتماعيا أو تاريخيا.

فالإنسان منذ القدم تعامل مع المعتقدات الطبيعية والاجتماعية تعاملا عقائديا خرافيا، حيث يرجع عدد من النكبات والأزمات إلى كائنات خرافية، غير موجودة لكنه يعتقد في قدرتها على تحقيق الأشياء التي عجز عنها، وأعانته وساعدته أمام ما يعترضه من صعوبات وما يجتازه من أزمات ، وهذا الدور هو ما ينطبق بالضبط على زيارة الأضرحة والأولياء في الثقافة والمخيال الشعبي عموما ، ورسوخها في أوساط العامة [1]، لدرجة يمكن التساؤل فعلا عن طبيعة الفكر الذي دعم هذه الأهمية، ورسخ بالتالي عددا من الطقوس. التي لا تزال حاضرة بقوة إلى اليوم. كما أن التبرك بهذه الأماكن يختلف تبعا لكرامات الولي. أي أننا نجد أن هذا الولي أو الضريح يتخصص في كذا، والآخر في شيء مختلف كأنه نوع من توزيع الأدوار.

إن قداسة الولي حسب كتب المناقب، وما يمثله من قوى ظاهرة للعيان، جعلت الناس ينجذبون إليه في ظل افتقارهم للقدرة التي تتوفر لديه، وكذلك ما يجسده من قوى مادية[2]، تدفع إلى التطلع أكثر فأكثر إلى نماذج أججت الرغبة إليها ظروف اجتماعية وسياسية عامة، وأخرى طبيعية، بوأتها مكانة مهمة، يقول في شأنها أحمد بوشارب " تعود هذه المكانة التي خص بها المجتمع أولائك الأولياء . الأضرحة . إلى عدة عوامل، جعل الجهل العامي يتقبل أكاذيب وخوارق وهمية، روجها المستفيدون من ذلك التقدير والاحترام المربحين، كما أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، التي عاشها آنذاك. المجتمع. قوت هذه الظاهرة. فقد كان الإنسان دوما يشعر بعدم الاطمئنان إذ كان ضحية تسلط الحكام، وخصوصا ممثليهم، أو ضحية طغيان العوامل الطبيعية، كالجفاف والمجاعات أو ضحية الأمراض والأوبئة"[3]. هذا العجز عن مواجهة الواقع، دفع الناس إلى اللجوء إلى زيارة الأضرحة ليحصلوا على ضمانة ولو معنوية، تفتح لهم أبواب الرجاء لاعتقادهم أن تقديس الولي يقربهم من الله.

[1] - المحمودي أحمد، م س، ص.123

[2]- العطري عبد الرحيم، بركة الأولياء. بحث في المقدس الضرائحي، مكتبة المدارس ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2014 ص.64

[3]- جنبوبي، م س، ص.11

ثالثا: المجتمع الموحدي والأضرحة خلال فترة الأزمات

دور الأولياء خلال الأزمات الاجتماعية

سبق وأن أشرنا، إلى الدور الاجتماعي الذي جسده الأولياء، في محاولة تحسين مستوى معيشة بعض فئات المجتمع، بأساليب شتى، إما عن طريق الأداء الكرامي أو الدعاء أو عن طريق تشجيع الصدقة...الخ، هذا الدور الريادي، الذي لعبه شخص الولي، جعله مرشحا لأن يكون بمثابة الزعيم الروحي في المجتمع، حتى بعد مماته، علما أن الاعتقاد به وبكل الطقوس الصادرة عنه، من كرامات وخوارق ومكاشفات ظلت ذهنية راسخة في نفوس أفراد هذا المجتمع حكاما ومحكومين على السواء[1].

إن العلاقة بين الأحياء والأموات لم تنقطع قط، حيث أن زيارة الأضرحة كانت من العادات الشائعة في المجتمع طيلة الفترة الوسيطية[2]، وهي تدخل في إطار صلة الرحم لأن الناس لا ينظرون إلى الأموات كأناس انتهوا وذهبوا، بل لا زالوا يعيشون معهم رغم أنهم لا يرونهم، ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة قد تجسدت بشكل قوي إبان العصر الموحدي مقارنة بالعصر المرابطي، فعلى مستوى الأسر الحاكمة تذكر المصادر زيارة الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي لقبر المهدي ابن تومرت عدة مرات[3]، ذلك القبر الذي جعله المصامدة على حد تعبير الإدريسي " حجا يقصدون إليه من جميع بلادهم"[4]، وفي هذا السياق يشير صاحب البيان إلى زيارة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لقبر المهدي وقبر أبيه عبد المومن " مظهرا الوحشة إليهما، ساكبا العبرات عليهما، آمر وفود الأندلس بالسير من مراكش إلى زيارتهما، حاضا طلبة الحضر أن يرثهما ويذكروا فضائلهما ومآثرهما، فقال الناس في ذلك وأطنبوا فحياهم بالعطاء"[5]، وصار من بعده على هذه العادة الأمراء الموحدون، فيشير ابن عذاري إلى تحرك الأمير المرتضى سنة 649هـ / 1251م " بعساكر الموحدين والأجناد العرب، والاحتشاد على ترتيب سلفه المعتاد لزيارة قبر إمامهم المهدي، تبركا بلثم تراه، متوسلا بأكرم الوسائل معظما المكان"[6]. وفي العهد المريني نجد أبو عنان، يزور أضرحة الأولياء

---

[1] - محمد أحمد إسماعيل، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص ص.330.329

[2] -حقي محمد، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مانبال، بني ملال،2007، د.ط ، ص.134

[3] - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. قسم الموحدين.، م س، ص.53

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق ...، م س، ج 1، ص.230

[5]- ابن عذاري، م س، ص ص.147-148

[6]- نفسه، ص.399[7]

والصلحاء على حد تعبير النميري" فهو لا ينقطع عن هذه الزيارة أينما وجد، وهو الذي يبحث عن هذه الأضرحة، فيجد لذة ومتعة في الدخول إليها (....) وببجاية انقطع عن الأشغال وانصرف قاصدا ضريح الشيخ الولي أبي زكرياء الزواوي فوفاه حق زيارته"[1]، ولعل الشاهد على هذا، وصية الأمير أبو يحيى المريني، بأن يدفن بجوار الولي محمد الفشتالي تبركا بجواره، على حد قول ابن أبي زرع " وفي سنة ست وخمسين وستمئة في رجب منها مرض الأمير أبو بكر بمدينة فاس فمات بها (....) ودفن بباب الجيزيين (...) بإزاء قبر الشيخ محمد الفشتالي تبركا به، فإنه رحمه الله كان أوصى بذلك في حياته "[2].

وساد الاعتقاد باستمرار قدرات الأولياء الخفية على دفع الضرر، وجلب المنافع حتى بعد موتهم، فشاع التبرك بقبورهم[3]، والتوسل إليها عن طريق السجود لها، والتمسح بأضرحتهم وحمل التراب تبركا به، وغيرها من الطقوس سعيا وراء كسب شفاعة صاحب هذا الضريح، أملا في إيجاد حلول للأزمات، ومن الأدلة التي تثبت صحة هذا، ما اعتقده بنو عيسى من جبال غمارة أن وجود ضريح إسماعيل بن سيد الناس البطوي ببلدهم يمنع عنهم غزوات أعدائهم " عند تغلب القبائل عليهم فتحيط بهم القبائل من جهة روضة الشيخ إسماعيل، فإذا خرج بنو عيسى من حيز الروضة، نال منهم أعداؤهم ما شاء من قتل وسبي، فإذا قاموا في حوز الروضة ووصلهم أعدائهم نال منهم بنو عيسى ما أرادو من قتل وسبي، فإذا تكاثرت الوفود، وراموا افتتاح الحصن والتغلب عليه، كان حد مبلغهم الروضة، ثم ينهزمون عند وصولهم، ربما كبروا عند ذلك، وقالوا يا بركة سيدي أبي إبراهيم"[4]، وقد حرص السكان في هذه الفترة على دفن أوليائهم بأبواب المدن، اعتقادا منهم أن هؤلاء قادرون على حمايتهم من هجمات الأعداء. وحسبنا في ذلك أنه في كل باب من أبواب تلمسان نجد ضريح لولي من الصلحاء[5].

[1]- ابن أبي زرع الفاسي علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972 ، ص.296.

[2]- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط،1973، ص.

[3]- جنبوبي، ص.87.

[4]- البادسي، م س، ص.58.

[5]- ابن مريم، م س، ص ص.136. 137.

دور الأولياء خلال الأزمات الاقتصادية

يرتكز مستوى المعيشة في الغرب الإسلامي، كباقي المجتمعات الأخرى على الوضعية الاقتصادية السائدة، فيتحسن نسبيا في أوقات الرخاء ويتدنى في فترات الأزمات[1]. وبالرجوع إلى تاريخ المجاعات فإننا نجدها لم تستثنى من أية حقبة تاريخية، وبالتالي شكلت شبحا مخيفا يهدد المغاربة باستمرار. ومن المعلوم أن المجاعة تأتي كنتيجة حتمية عن جملة من المسببات والتي أرجعها ابن خلدون إلى " قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في أخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتفاض الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالبا، وليس صلاح الزرع وثمرته. بمستمر الوجود ولا على وثيرة واحدة، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته (...) وكان بعض السنوات الاحتكار مفقود فشمل الناس الجوع"[2]. لا ريب أن أزمة الجوع، قد أفرزت مظاهر سوسيو.دينية، وسلوكات شتى كانت في الحقيقة نتاجا عن إيقاع هذه الأزمة على إنسان المغرب الوسيط، ولا شك في أن هذا المجتمع قد ينحني زمن المجاعة إلى منحى غير طبيعي، فتزداد بعض الظواهر كزيارة أضرحة الصلحاء[3]، في حين تتوارى مظاهر جديدة كنتيجة عن واقع هذه الأزمة.

ولهذا نلاحظ أن رد الفعل تجاه الطبيعة (كوارث، جوائح....) لا يخرج في كثير من الأحيان عن مقترب الهجرة إلى السماء، فالأفراد يبحثون عن ملاجئ مادية أو معنوية لمواجهة الواقع المأزوم، والديني بما يكتنزه من قيم التفاوض مع الواقع وإمكان تجاوزه، يصير حلا إيجابيا للكثيرين. على اعتبار أن الكوارث الطبيعية مثلها مثل باقي الأزمات الأخرى تكون نتاجا عن تجليات قوى غيبية مبادرة عن إرادة الآلهة، فإن مواجهتها في الاعتقاد الصوفي سمة تحلى بها الأولياء دون غيرهم. فهم في نظر العوام يمثلون دور الوساطة بين الله وعباده، وعليه فإن مهمتهم تكمن في تنظيم هذه العلاقة سواء في حياتهم أو حتى بعد مماتهم.

ولم تكن الكرامات تجاوز أزمة الجوع، لتنقطع بعد موت الأولياء، بل تستمر في نظر المجتمع حتى بعد مماتهم، فقبورهم كانت بالنسبة إليهم من مقدسات العامة، والمزارات التي يلجؤون إليها

---

[1]- بوتشيش، م س، ص.126.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، م س، ص ص. 109. 110.

[147]- لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص ص.88. 89.

من كل حدب توسلا بهؤلاء الصلحاء في تفريج الكروبات، خاصة وهم يعتقدون بأن الدعاء عند قبورهم مستجاب.[1]

كما عرفت قبور الأولياء إقبالا كبيرا في أوقات المجاعة ، وحسبنا في ذلك ما فعله ابن قنفذ الذي زار ضريح الولي أبي مدين شعيب زمن مجاعة 776هـ /1374 م [2]؛ فدعا عند قبره أن يخفف عنه مشقة السفر، ويؤمنه من الخوف فيقول مخاطبا .قبر أبي مدين . "يا سيدي أبا مدين نحن أضيافك وقد نزلنا بجوارك ولنا معك وسيلة عهد متصل قريب غير منفصل، والغرض تيسير الانتقال والحفظ في كل الأحوال، اللهم إنا نتوسل إليك بأنبيائك وأوليائك، يسر لنا في ذلك يا قريب يا سميع الدعاء يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ! وكررت الدعاء مرارا وصليت على سيدنا محمد (ص) وحمدت الله وانصرفت، فيسر الله علي فيما وقع ما أملته[3]، فمر سفره في أحسن الأحوال، وانقلب الشر كله خيرا ببركة هذا الولي؛ يقول في ذلك، " انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله وذلك عندنا معهود من كرامات أبي مدين والدعاء عند قبره مستجاب"[4]. أيضا، أشار ابن قنفذ إلى وجود جماعة من المتسولة والفقراء بإزاء قبر أبي مدين زمن هذه المجاعة. هذه الظاهرة إنما كانت تنتشر أكثر في أوقات المجاعة، وهذا ما يشير إليه ابن قنفذ أثناء رحلته.

إذن فدور الأولياء في مساعدة المحتاجين لم يكن يتجلى في حياتهم فقط، بل نراه يستمر حتى بعد مماتهم كما تصوره كتب المناقب، فلا غرو أن قبور هؤلاء الأولياء ظلت مزارا وقبلة لشريحة معينة من المجتمع ممن يحملون النذور والصدقات التي تفرق على الفقراء والمساكين، فيجد هؤلاء الضعفاء ملاذهم هناك فتنقلب أضرحة الصلحاء إلى محطات بارزة يجتمع فيها المتسولون أوقات الرخاء والمجاعة على حد سواء.

من خلال البذل والإنفاق استمر الارتباط بزيارة الأضرحة، وخير من نقل إلينا استمرار هذه السلوكات قبيل نهاية العصر الوسيط ما لاحظه ابن الخطيب الذي زار ضريح أبي العباس السبتي

---

[1]- ابن قنفذ، م س، ص.40.

[2] - يقول ابن قنفذ في شأن هذه المجاعة " وفي هذا العام كانت المجاعة عظيمة وعم الخراب المغرب فوردت تلمسان والحالة هذه وأقمت بها قرب شهر غير واجد للطريق، وكان وزيرها إذا استشرته في الخروج منعني وتبرأ مني (....) فكثرت علي النفقة، وبلغت المعينة منها فيما لابد منه لعيالنا ومن تعلق بنا أربعة دنانير ذهبا في صبح كل يوم دون المزية العظمى واليد الكبرى التي يجعل علينا من يبيع لنا الطعام (....) وارتحلت بعد أيام يسيرة (....) وكان أمر الطريق في الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين، ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا حتى أن منهم من يسمع ضرب الأكف تحسر علينا. انظر، ابن قنفذ، م س، 105.

[3]- نفسه، م س، ص.105.

[4]- نفسه، ص.106.

من كثرة الزوار المترددين على قبره فقال "رحمه الله على ذلك القبر لكثرة زائره فيقتحم ذو الحاجة باب الروضة خالعا نعله، ويقعد بإزاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى الصدقة على قبره ويدسها في أوان على القبر معدة لذلك. ومن عجز عن الصدقة بالنقدين صدق بالطعام نحوه، فإذا خف الزائر وكان آخر النهار عمد القائم على التربة إلى ما أودع في تلك الأواني وقسمه على المحاويج الحافين بالروضة وبالطرق الموصلة إليها، ويحصون كل عشية فيعمم ذلك الرزق المودع في تلك الأواني، وإن قصر عنهم استكملوه في غده"[1]. هذا النص له مغزى اجتماعي عميق أعطى ابن الخطيب مثالا للتضامن في أبهى صوره، لتخفيف معاناة المحرومين، وتحفيز المياسير للإسهام في تفريج كرب المعسرين.

وكان الخوف من امتداد المجاعات بسبب العوامل الطبيعية وخاصة الجفاف، وراء إلتجاء المغاربة إلى زيارة أضرحة الأولياء كذلك، مستنجدين ببركاتهم من أجل الاستسقاء، وقد جعلت كتب المناقب، من القدرة على " استنزال المطر" كرامة من كرامات الأولياء، بحيث اتفق هذا النوع من المصادر على إيراد أكبر عدد من الأولياء الذين يلتجئ إليهم الناس من أجل الاستسقاء[2]. فقد تزامنت وفاة الولي عبد الله بن محمد الحجري مع قحط شديد نزل بأهل سبتة سنة 591هـ/ 1194 م " فلما وضعت جنازته على شفير قبره توسلوا به إلى الله تعالى في إغاثتهم وتداركهم بالسقيا فسقوا من تلك الليلة مطرا وابلا، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل[3]. فضريح الولي يغدوا بعد موته ملجأ يتم اللجوء إليه، تماما كما حدث مع أبو محمد عبدي الصنهاجي عندما ذهب الناس إلى ضريحه " فدعوا وتضرعوا والسماء صاحية لا غيم فيها، فطلبوا من الولي الغيث، فو الله ما نزل الناس عن ذلك المكان حتى مطروا مطرا غزيرا[4].

إن الكوارث الطبيعية التي ألمت بالإنسان المغربي في تلك الفترة، جعلت مختلف السلط الحاكمة على الاهتمام بالجانب التكافلي الروحي والمعنوي، وتجلى ذلك في تنظيم صلوات الاستسقاء، وفق طقوس يسعون من خلالها إلى تدعيم شرعية سلطتهم، من خلال زيارة قبور وأضرحة بعض الصلحاء قصد التبرك[5].

---

[1]- السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1993، الجزء 1، ص.300

[2] - السملالي العباس بن إبراهيم، م س، الجزء 8، ص.197.196

[3] - التنبكتي أحمد بابا، م س، الجزء الأول، ص .176

[4]- التادلي، م س، ص.83

[5]- بياض، م س، ص.263

ولا شك في أن المجاعات كانت مقرونة أحيانا بأوبئة وأمراض فتاكة. ولم يكن اعتقاد المجتمع في الأولياء وقدرتهم على معالجة الأمراض تتوقف عند مماتهم، وإنما يؤمنون بقدرتهم حتى بعد مماتهم، وبأن سبب الأمراض إنما هو مس من الجن أو عقابا إلهيا سلطه الله عليهم، فإنهم رأوا في أضرحة الأولياء وطلب العلاج منهم الوسيلة الوحيدة والناجعة للتخلص من هذه الأمراض التي يعانون منها، ولم تكن إلا ذهنية طبعت نفوس غالبية المجتمع المغربي. لذلك كانت قبورهم مزارات للاستشفاء من كل الأسقام[1]، لهذا اعتبرت الأضرحة مكانا مقدسا معظما للتقرب من الموتى، كما أن تراب هذه القبور كان بالنسبة إليهم من أهم المقدسات التي يستعملونها لعلاج العديد من الأمراض.

وقد أمدتنا كتب المناقب، بنماذج عديدة حول ذلك رغبة منها أن تؤكد صحة هذا الاعتقاد. وإن كان هذا مبالغ فيه .وهذا ما ظهر بشكل جلي، عندما كان الناس يأخذون من تراب قبر المهدي ابن تومرت ليتبركون به ويجعلونه شفاء للمرضى[2]، كما استشفى أهل أغمات أوريكة بتراب قبر أبي عبد الله بن سعدون بن علي بن بلال القيرواني المتوفي عام 485هـ /1049م[3]، كذلك كان قبر علي ابن اسماعيل ابن حرزهم المتوفي عام 559هـ / 1163 الذي اتخذه الناس مزارا يتبركون به[4]. فمصادر الفترة تزخر بأخبار ذوي العاهات والأمراض المزمنة بما فيهم النساء اللواتي كن يقصدن الصالحين، وقبور الأولياء لأخذ شيء من ترابها للاستشفاء به[5]، كذلك غرف أهل مراكش بعادة التبرك بأضرحة الصلحاء. فابن الزيات[6] الذي عاش في عصر الموحدين يذكر أنهم كانوا يتبركون في زمنه بقبر أبي سهل القرشي الموجود برباط تسماطت.

وقد كان كل من يدخل ضريح الولي أبو سعيد الشريف الحسني وهو مريض إلا وبرئ من مرضه ببركة هذا الأخ ير كما يعتقدون[7]. أما قبر الولي أبي مدين، فكان ترياقا يشفى منه المجانين

[1] - ابن عيشون الشراط، م س، ص.27.

[2]- ابن عذاري، م س، ص.149.

[3]- التادلي، م س، ص.84.

[4] - ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهرة النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة: أطروحات رقم 35، الطبعة الأولى، 1997، ص.66.

[5]- العزفي، م س، ص.50.

[6] -التادلي، م س، ص.208.

[7]- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد ابن أبي شنب، الثعالبية، الجزائر، 1908، د.ط، ص.72.

وذوي الأمراض المزمنة وجميع العاهات " التي عجز عنها الأطباء " فأصبح كل من جاء إلى قبره مقعدا عاد منه يمشي على رجليه !، ولا مريضا أو صاحب عاهة إلا ليشفى بعد زيارته لهذا القبر[1].

هذه الرواية تبين لنا من جهة نجاعة تراب القبر أو القبر في حد ذاته، كوسيلة إشفائية لأمراض تجاوزت حدود ما حقق الطب والشعوذة في ميدان العلاج، وإن كانت تحمل ضربا من الخيال والمبالغة من طرف كتب المناقب. ومن جهة أخرى تبين لنا أن الأضرحة في مجتمع المغرب الوسيط كان يعد بمثابة البيمارستان يقصده الناس طلبا للعلاج والاستشفاء وليس للتبرك فقط.

ولعل ما يبين لنا أهمية مقدسات الأولياء داخل المجتمع بالنسبة لعامة الناس وخاصتهم، وأن سبب زيارتهم للأضرحة من أجل العلاج هو غياب دور الطبيب وعجزه عن مدواة الكثير من الأمراض من جهة[2]، ومن جهة أخرى عجز الناس عن دفع أجرة الطبيب بسبب الفقر مما دفعهم للبحث عن سبل أخرى. ولم تكن الأضرحة وحدها تشكل نقطة جذب من طرف سكان المغرب آنذاك رغبة للعلاج والاستشفاء، بل الملفت للانتباه أن الزاوية إضافة إلى كونها مؤسسة دينية وتعليمية واجتماعية واقتصادية[3]، فإنها أيضا كانت بمثابة البيمارستان الذي يقصده الناس من كل حدب طلبا للعلاج من الأولياء القائمين أو الاستشفاء بالأضرحة إن وجدت.

ويذهب بعض الباحثين إلى تفسير هذه الظاهرة (زيارة الأضرحة)، إلى عوامل سيكو. اجتماعية تثمتل في القهر والجهل والعجز وقيلة الحيلة[4]، وآخرون يفسرونها بعوامل ذهنية (الخرافة، الجهل) واجتماعية (الفقر، الظلم الاجتماعي)[5]، "لغلبة الجهل وكثرة المصائب والمملات مع قلة الحلول، نصيب في تفشي هذه الظاهرة التي تعبر عن تشوش وحالات الارتباك النفسي التي تصيبهم في تلك الظروف"[6].

خاتمة:

إجمالا لعب أصبح للأولياء مكانة كبيرة داخل المجتمع نظير الأدوار التي أصبحوا يطلعون بها على مستويات متعددة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت هذه الأدوار تزداد خلال

[1]- عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوت، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة وتاريخ النشر، ص. 149

[2]- الهلالي محمد ياسر، م س، ص.403

[3]- الشاذلي، م س، ص.190

[4]- حجازي مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص.143

[5]- إبراهيم بدران، سلوى الخماش، م س، ص. 797

[6]- استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنيين 16 و 17م، مؤسسة النخلة للكتاب، الطبعة الأولى، وجدة، 2004، ص.457

فترة الأزمات التي يعرف المجتمع، وعندما تشتد الأزمة على الناس يتجهون إلى الأولياء، في محاول الاستنجاد بهم، على اعتبار امتلاكهم لكرامات تهم مختلف مناحي الحياة، وحسب كتب المناقب فكرامة الولي لا تنقطع بموته بل تستمر وهذا ما يفسر لجوء الناس إلى زيارة ضريحه خلال فترة الأزمات والكوارث.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 15، دار الصادر (بدون طبعة)، بيروت، لبنان، (بدون سنة).
- القشيري أبو القاسم، الرسالة القشيرية، تحقيق، عبد الحليم محمود، دار الشعب،القاهرة، 1989.
- ضريف محمد، مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي، مساهمة في التركيب، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 1، الدار البيضاء 1986.
- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، الجزء الأول، خزانة ابن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2005
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب، محمد مزالي والبشير بن سلامة، د.ط، الدار التونسية، 1969
- جنبوبي محمد، الأولياء في المغرب .حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب، منشورات كنال أوكردوي،2004.
- فرحات المصطفى، طقوس وعادات أهل بزو، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات والتعابير الأدبية، سلسلة دراسات وأبحاث، ط 1، 2008.
- العزفي أحمد، عامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، د ط، 1989.
- الماكري أحمد، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2007.
- مفتاح محمد، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ/ 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، القسم الأول، 1981.

- الراوي عبد الستار عز الدين، التصوف والباراسيكولوجيا، مقدمة أولى في كرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة، دار الفارس، بيروت، ط 1، 1994
- زيعور علي، الكرامة الصوفية: الأسطورة والحلم القطاع اللاوعي في الذات العربية، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1984.
- الصدفي طاهر، السر المصون فيما أكرم به المخلصون، تحقيق فرحات حليمة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،1988.
- الهلالي محمد ياسر، موت الولي في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مجلة المناهل، العدد 91. 92، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2012
- العطري عبد الرحيم، بركة الأولياء . بحث في المقدس الضرائحي، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،2014.
- محمد أحمد إسماعيل، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
- حقي محمد، الموقف من الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مانبال، بني ملال،2007.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. قسم الموحدين
- ابن أبي زرع الفاسي علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.
- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط،1973.
- لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

- السملالي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية، الرباط، 1993.
- ابن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهرة النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة: أطروحات رقم 35، الطبعة الأولى، 1997
- عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوت، دار المعارف، القاهرة، دون طبعة وتاريخ النشر.
- حجازي مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005.
- استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنيين 16 و 17م، مؤسسة النخلة للكتاب، الطبعة الأولى، وجدة، 2004.
- المحمودي أحمد، عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2001.
- بوتشيش القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع الدهنيات الأولياء، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1993.
- ابن قنفد أحمد، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث الجامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة الرحلات (2)، بدون طبعة وتاريخ النشر.

المراجع الأجنبية:

- Emile Dermenghem, Le Culte des Saints Dans L'islam Maghrébin, Gallimard, Paris,1954, P.11